

الرمزية في الديانة المسيحية بكويكول بين المخلفات الأثرية والكتاب المقدس

Symbolism in Christianity at Cuicul : Between Archaeological Remains and the Holy Bible

السعيد خاشة^{1*}

¹ جامعة محمد أمين دباغين - سطيف 2- (الجزائر)، s.khacha1@univ-setif2.dz

مخبر: التراث والدراسات الأثرية، جامعة سطيف2.

تاريخ القبول: 2024/11/01

تاريخ الإرسال: 2024/08/20

ملخص:

إن الزائر لمختلف المواقع و المتاحف الأثرية بالمدن الجزائرية عامة وبكويكول خاصة يلاحظ الكم الهائل من الفسيفساء المعروضة إما على جدران المتاحف أو على أرضياتها أو التي لا تزال في مواقعها الأصلية، وأشد ما يلفت انتباهه الألوان الزاهية الكثيرة إضافة إلى تلك الرموز والتزيينات التي تزخر بها، وهذا ما يجعل نفسه تتساءل عن ماهية تلك الرموز والتي هي موضوع مقالنا هذا حيث أوردت تلك الرموز وقدمت لها تعريفا أو تفسيراً ، كما تطرقت لأصلها في الكتاب المقدس على اعتبار تلك الرموز في الحقيقة ما هي إلا رسائل دينية مبطنة بصيغة فنية وهذا ما سنلاحظه من خلال الاطلاع على هذا المقال كما قدمت لمدينة كويكول خلال الفترة المسيحية على اعتبارها الحقبة المعنية بالدراسة وكذلك تطرقت لأهم المعالم المسيحية الدينية الموجودة بمدينة البحث.

كلمات مفتاحية: كلمة مفتاحية؛ مسيحية؛ إكنوغرافية ؛ كويكول؛ الكتاب المقدس.

Abstract

The visitor to various archaeological sites and museums in Algerian cities in general, and Cuicul in particular, notices the immense quantity of mosaics displayed either on the walls of the museums or on their floors, or those that remain in their original locations. What most draws the visitors' attention are the numerous bright colours, in addition to the symbols and decorations that abound. This raises questions about the nature of those symbols, which are the subject of this article. The article presents these symbols and provides a definition or explanation for them, as well as discussing their origin in the Holy Bible, considering that these symbols are, in fact, religious messages cloaked in artistic form. This will be observed through the review of this article, which also presents the city of Cuicul during the Christian period, as being the era under study, and addresses the most important Christian religious landmarks in the city of research.

Keywords: Christianity; iconography; Cuicul; holy bible.

1- المقدمة:

خلال القرن الرابع الميلادي انتقلت المسيحية من دين لأقلية مضطهدة، إلى دين للعامة، في غاية النشاط وخال من الاضطهاد، هذا الدين الجديد انتصر على الوثنية ورعي من قبل الإمبراطور الروماني، وعليه أصبح هو الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، هذه الديانة أثرت في مختلف جوانب الحياة حتى الجانب الفني، فظهر شكل جديد من التصوير بدل التصوير الإغريقي الروماني، فتحول الاهتمام من النسب وإبراز عناصر الكمال في الجسم البشري أو غيره، أصبح الفن الجديد يعبر عن العقيدة المسيحية، استخدمت الفنون البصرية كشكل من أشكال التواصل وكان القصد من العمل الفني هو إرشاد المؤمنين الجدد لدراسة تعاليم الكتاب المقدس، فالأيقونات التي كانت حكرًا على المنازل التي عدة كأول الكنائس في فترة الاضطهاد، انتشرت لتزين الكنائس والكاتدرائيات، والفسيفساء التي كنا نراها زاخرة بالأشكال النباتية والهندسية والإنسانية و حتى الأسطورية، تحولت لتصبح حاملة وموصلة للعقيدة المسيحية من خلال مجموعة الرموز التي تزينت بها، ولم تكن شمال إفريقيا لتأى بنفسها عن هذا الزخم العقدي والفني الذي أثر في مختلف أصقاع الإمبراطورية الرومانية، فيا ترى ما هي المعطيات التي نمتلكها عن كويكول المسيحية؟ وما هو المفهوم العقدي للرمزية المستعملة في الأعمال الفنية بمدينة كويكول؟ وهل كان هناك خلاف أو اتفاق بين هذه الرمزية والكتاب المقدس؟

للإجابة على هذه الأسئلة قسمنا مقالنا هذا إلى جانبين نظري، تحدثنا فيه عن دخول المسيحية لمنطقة كويكول وأثارها المعمارية التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا بالموقع، وجانب تطبيقي تم فيه دراسة الرمزية ومدلولاتها من خلال المخلفات الأثرية بموقع ومتحف كويكول، وأخيرا جانب تحليلي يتخلل الدراسة التطبيقية لمقارنة هذه الرموز بما يوجد في الكتاب المقدس ومعرفة مصادر اعتماد هذه الرموز.

2- المسيحية بكويكول:

منذ منتصف القرن الثالث الميلادي عرفت مدينة كويكول جالية مسيحية معتبرة، كما كان بها أسقف يدعى pudentianus والذي شارك في مؤتمر -concile- قرطاج، الذي انعقد في الفاتح سبتمبر 256م، برئاسة القديس كبريانوس saint Cyprien، وكان على pudentianus كما زملاءه أن يقرروا في مسألة تعميد الهراطقة، بعد ذلك بقرن وبالتحديد في عام 348م انعقد مجلس آخر بقرطاج، شاركت فيه المدينة بأسقف جديد يدعى Elpidophorus.

وبحلول القرن الخامس عانت المدينة من انقسام داخلي حالها حال أغلب المدن الإفريقية، فظهرت بها طائفتان متنافستان الأولى تسمى المنشقين Schismatique والثانية تدعى الكاثوليكين Catholique، وفي عام 411م، وخلال مؤتمر -Conférence- قرطاجية شارك باسم مدينة كويكول

الأسقف كرسكونيوس Cresconius والذي أجاب حين نودي عليه "حاضر وقد كان ضدي أسقف دوناتي، وقد توفي"

في عام 484م تحت نير الغزو الوندالي، كان لكويكول أسقف يدعى فيكتور Victor، وأخيرا في عام 553م، تحت الحكم البيزنطي انعقد مجلس القسطنطينية، وكان على رأس كنيسة كويكول أسقف، هو كرسكنس Crescens، وقد استمرت الجالية المسيحية بالمدينة إلى أن جاء الفتح الإسلامي. (Monceaux, Martyrs de Djemila, 1920, pp. 290-297)

3- العمارة المسيحية بكويكول:

عرفت مدينة كويكول إلى جانب الحي الوثني حيا مسيحيا تألف من عديد المعالم الكنسية إلى جانب المساكن اليومية، هذه الأخيرة ليس محل بحثنا، إنما محل البحث في هذه الجزئية مجموعة المعالم التي أعطتنا معطيات إكنوغرافية وكانت في هذه الحالة الكنائس وبيت التعميد. يقع هذا الحي المسيحي في الجنوب الشرقي من المدينة الأثرية على بعد حوالي 150 م جنوب المسرح وجنوب الحصن - الحصن البيزنطي-، والذي لا نمتلك اليوم من آثاره شيئا إلا ما دونته تقارير الحفريات أو مقالات الباحثين. (Monceaux, Découverte d'un groupe d'édifices chrétiens à Djemila, 1922, p. 381)

3-أ-كنيسة القرن الرابع: وتعرف كذلك بالكنيسة الشمالية، وهي من نمط الكنائس ذات ثلاث أروقة، كانت أول إشارة لها في الكشوفات العلمية من قبل رافوازي Ravoisie سنة 1840 (Miloud, 1998, p. 248)، في سنة 1913 أشار Cagnât بأنها في التي تحدث عنها Ravoisie في كشوفاته، أما فيما يتعلق بتاريخها فيجري عليها ما يجري على معظم المعالم المسيحية من حيث عدم الدقة المطلقة، فيقول قزال Gsell (كنيسة الأروقة الثلاثة وحسب مخطط Ravoisie وكذا الفسيفساء المكتشفة بها فإنها كنيسة سابقة للغزو الوندالي)، أما السيدين Monceaux وAlbertini فيرجعان تاريخها للقرن الرابع للميلاد. (Miloud, 1998, p. 249)

3-ب-كنيسة القرن الخامس: تعرف كذلك بكنيسة القديس كروسكينيوس، تقع جنوب الكنيسة سالفة الذكر، تم الكشف عنها خلال حفريات 1921-1922 (Monceaux, Découverte d'un groupe d'édifices chrétiens à Djemila, 1922, p. 382)

فيما يتعلق بتاريخ الكنيسة، فمن المرجح أنها تؤرخ بفترة القرن الخامس الميلادي حيث يذكر ألبريني (الكنيسة من إهداء كروسكينيوس الذي شارك في مؤتمر قرطاجة سنة 411 م)، كما أرخ مونسو Monceaux الكنيسة بنفس الفترة، ويقول Cagnât "الكنيسة من إهداء كروسكينيوس والذي مثل أسقف كاثوليكي الخاص بمدينة كويكول في مؤتمر قرطاجة سنة 411 ميلادي" (خاشة، 2016، صفحة 411)

3-ج-المعمودية: تقع غرب بازيليك القرن الرابع، تم التنقيب عنها خلال سنوات 1922-1923، تتألف من ست وثلاثين كوة، إضافة إلى حوض تعميد (خاشة، 2016، صفحة 414)، أما فيما يتعلق بتاريخ المبنى فقد اقترح فيفري (Février, 1992، معالم، p. 28)

3-د-كنيسة الحي الغربي: هي كنيسة بها قبر لا يزال موجودا إلى يومنا هذا، تم اكتشافها من قبل السيد Allais، وذلك سنة 1954 (Leglay, 1954, p. 74)، أما فيما يتعلق بتاريخ الكنيسة فتقترح السيدة Allais نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس. للإشارة فهذه الكنيسة رمت خلال الفترة القديمة وبالضبط القرن السابع الميلادي (خاشة، 2016، صفحة 415)

0-هـ-الكنيسة الجنائزية الشرقية: تم التنقيب عنها بين سنتي 1942-1943، إكتشف بها مجموعة قبور، أما تأريخها فربما هي معاصرة بصفة عامة للمجمع الكنسي (خاشة، 2016، صفحة 415)

4- الرمزية في الديانة المسيحية:

لم تكن الرموز التي نجدها اليوم على الفسيفساء والمصابيح الزيتية وغيرها من اللقى الأثرية مجرد تزيينات فقط وانما كانت تعبيرا رمزيا عن العقيدة المسيحية، هذه العقيدة التي تغلغت في جميع مناحي الحياة حتى صارت عمودا وقواما لكل شيئا تقريبا بما في ذلك الفن وهذا ما سنلاحظه من خلال الرموز التي سنستعرضها.

4-أ - الرموز المستوحاة من الصليب وما شابهه:

01- الصليب: يعد شعار مجد المسيحيين (فورالي، زخرفة المصابيح المسيحية القديمة في نوميديا، 2006، صفحة 179) كان في بداياته رمز للعذاب، كونه استعمل كوسيلة لمعاقبة المذنبين خلال الفترة الرومانية، كما يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام صلب ومات عليه، لكن تتغير هذه النظرة ويصبح الصليب رمزا للمسيحية والخلاص ابتداء من فترة قسطنطين، فتم الغاء حكم الموت عن طريق الصليب، كما نجد الأسقف كيريلوس يحدث الموعوظين بقوله. "ان فخر الكنيسة الكاثوليكية كل أفعال المسيح، ولكن فخر كل فخر هو الصليب" (BAUDRY, 2009, p. 32) والصليب يظهر بتمثيلين أحدهما على شكل + ويدعى بالصليب الاغريقي والآخر وهو الرمز المشهور المعروف بالصليب اللاتيني. (BAUDRY, 2009, p. 32)

يقول ترتليانوس عن الصليب: "حتى الطيور تتجه إلى السماء وتفتح أجنحتها بشكل صليب" (حمزة، 2013، صفحة 63)، ورد ذكر الصليب في مواضع عدة من الكتاب المقدس ومثالها:

"كَلِمَةُ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ" (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 18)

02- طاغراء المسيح **le monogramme du christ** : تتألف هذه الكلمة من شقين وهما **monos** و **gramma** ، و يقصد بها اسم المسيح عليه السلام ، و هي أول حرفين لاسمه بالإغريقية **ΧΡΙΣΤΟΣ** ويختصر عادة ✱ ولهذا يطلق عليه كذلك **Christogramme** ، أو ما يعرف كذلك **le chrisme** ، غير أن هذه التسمية الأخيرة لم تعرف في الفترات القديمة (*l'antiquité*) ، نظرا للمقاربة مع الكلمة الإغريقية **chrisma** و التي تعني مرهم ، استعمل المسيحيون هذا الرمز للتعبير عن المسيح عليه السلام ، نجد هذا الرمز منحوتا في توابيت القرن الثالث ميلادي ، غير أنه شاع أكثر ابتداء من فترة حكم قسطنطين . (BAUDRY, 2009, p. 29)

03- كما يقول عنه تريستان **Tristan**: 'على الرغم من أن المونوغرام ما هو إلا رمز ولكنه يركز مباشرة إلى شخصية المسيح' (حمزة، 2013، صفحة 62)

أحيانا نجد مع رمز ✱ حروف الألفا **α** والأوميغا **ω.Ω** ، و هو رمز مشهور لا يزال يستعمل إلى يومنا هذا ، كما نجد أحيانا الطغراء يحيط بها تاج النصر أو مجرد دائرة ، كدلاله على الانتصار. (BAUDRY, 2009, p. 32)

وردا في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح 22 الآية 13: " أَنَا الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالْخَاتِمَةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ "

كما نجد ذكرهما كذلك في سفر إشعياء. الأصحاح 48 الآية 12: " اِسْمَعْ لِي يَا يَغْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ. أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ " وهي صورة تعكس لنا الوقت كله من بداية الخلق إلى نهايته.

رمزي الألفا والأوميغا بعد مجمع نيقية أصبحا يقترنان أكثر مع المسيح، أو مع الصليب (BAUDRY, 2009, p. 58). ولأهمية هذا الرمز نجد أن فسيفساء مدينة كويكول قد تزينت به لا سيما في فسيفساء النص الشعري المهدي للقديس كروسكينوس والذي هو محفوظ اليوم في القاعة الثانية للمتحف، كما نجدهما مقرونان مع طاغراء المسيح بالقرب من بيت التعميد.

04- رمز **TAV**: هو آخر حرف في الأبجدية العبرية، وهو مماثل للـ **TAV** الإغريقي هو رمزهوه (الله) عند اليهود، وبالتالي يعوض اسمه ويكتب بكل بساطة + أو ×، عثر على هذا الرمز في الكتابات العبرية القديمة كما عثر عليه في صندوق جنائزي بفلسطين. (BAUDRY, 2009, p. 53). وفي مدينة كويكول يمكننا العثور على هذا الرمز من خلال اللوحات الفسيفسائية خاصة وكذا المصابيح الزيتية

04-ب- الرموز المستوحاة من الأشكال الهندسية:

01- **رمز الدائرة:** تعتبر الدائرة من بين أكثر الرموز انتشاراً، فهي تشير لقرص الشمس واكتمال القمر، كما ترمز للسماء في حين يرمز المربع للأرض، يرى فيثاغورس أن الدائرة تمثل الشكل لأكثر كمالاً بامتياز، في المسيحية تظهر محيطة بالرأس، وتكون عادة ذهبية اللون ويقصد إذ ذاك بها الشمس، كما ترمز الدائرة لتعاقب وعودة الفصول (BAUDRY, 2009, p. 73)

02- **هالة النور le Nimbe:** هي هالة نورانية يطلق عليها باللاتينية nimbus وهو يدل على إشعاع الرأس، والذي يعتبر الجزء الأكثر نبالة في الجسم البشري، وهو مستقر الذكاء والإرادة. قصد بهذا الإشعاع القداسة وكذا القدرة والسيادة.

هذه الهالة تظهر بشكلين إما منتشرة أو غير منتشرة، ففي الحالة الأولى تكون الهالة مشعة، دون أن تكون هناك حواف أو حدود لهذا الإشعاع، وفي الحالة الثانية تكون الهالة دائرية أو مربعة أو مثلثة أو معينة الشكل (Montault, 1898, p. 31)

الهالة النورانية الدائرية عادة ما تتوج رؤوس الملائكة والقديسين، كذا أجداد المسيح عليه السلام والبطارقة، كما أن هناك هالات نورانية تنتهي بشكل صليب، أو بخلفية نجمية خصصت للعذراء (Montault, 1898, p. 33)

في العصور الوسطى يتغير اسم الهالة من Nimbe إلى Couronne أو Diadème (هو تاج من قماش)، يكون دائري مع خصلات شعر أو مع استشراف ويعني المجد الأبدي (Montault, 1898, p. 34)

03- **المربع:** رمز الأرض عند الفلكيين القدماء، ورمز عند المسيحيين للصليب السماوي، كما رمز عندهم للنصر (BAUDRY, 2009, pp. 77-78)

4-ج- الرموز المستوحاة من الحيوانات:

01- **الخروف والنعاج والكبش:** عند اليهود يعتبر رمز الراعي الذي يحيي ويرعى خرافه، هو أحد رموز Yahvé الذي يرعى شعبه بكل حب، وهي صفة اتصف بها المسيح لذلك لقب بالراعي الصالح، وقد مثل بشكل كبش ذكر يسير في مقدمة القطيع، وكذلك رأى بعض آباء الكنيسة ومنهم القديس أوغسطينوس أن تضحية إبراهيم عليه السلام بكبش، في الحقيقة إنما الكبش هو المسيح عليه السلام. (BAUDRY, 2009, p. 103) ، وفي المصادر الإنجيلية يكون هو حمل الله الذي بشر به يوحنا المعمدان، وتنبأ له إشعيا (فوري، 2012، 276). (فوري، جرد

المصاييح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري،
(2011-2012، صفحة 276)

والحمل يعد من أشهر رموز المسيحية، يقول الأب دولتر بأنه أحسن صورة للمسيح، وأولى تجليات اعتماده كرمز عند المسيحيين ترجع للقرن الأول للميلاد بروما، أما ذيعان صيته فمند إعلان ميثاق ميلان سنة 355 (كاتيا، 2017-2018، صفحة 104)، أما الخرفان الصغيرة فقد رمزت للأتقياء من أتباع المسيح عليه السلام (كاتيا، 2017-2018، صفحة 106).

02- **رمز الأيل:** الصورة الرمزية للأيل توجد بالأصل في الآية الأولى من الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، المزمور 42 حيث ورد " لإمام المغنين. قصيدة لبني قورح. كما يشترك الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشترك نفسي إليك يا الله " وفي النسخة الإغريقية للكتاب المقدس ورد مكان الأيل الظبية وهي أنثاه، بالنسبة للمسيحيين فإن المقصود بالماء في الآية السابقة هو ماء التعميد الذي اعتقد المسيحيون أنه يمنحهم حياة جيدة في ظل المسيح، وعليه أصبح الأيل رمزا للمنتصر، وقد شرح القديس جيروم معنى المزمور آنف الذكر بقوله: " أتمنى القدوم على المسيح أين توجد نافورة الضوء، أين يغسل بالتعميد، لتوضع عنه خطاياه "، وعليه فليس من الغريب أن نجد رمزا لأيل في تزيينات المعموديات، و الصورة النمطية تكون لأيلين، أو لأيل و ظبية يشربان من الكأس المسماة *Canthare*، هذا الأخير رمز للماء المحي عن طريق التعميد، وهناك فكرة أقدم تظهر الأيل على أنه قاتل للأفعى رمز الشيطان، يقول أغسطينوس بأن الأيل صورة المسيح عليه السلام الذي تغلب على الشيطان. (BAUDRY, 2009, p. 103)

03- **رمز الأسد:** رمز للقوة، كان شعارا لقبيلة يهوذا، فقد ورد في سفر التكوين، الأصحاح التاسع والأربعين، الآية التاسعة: "يهوذا جرو أسد..."، كما كان رمزا للسيد المنتصر، ودليل ذلك ما ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأصحاح الخامس الآية الخامسة: "...هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود..." وفي *le tetramorphe* الأسد المجنح يرمز لصاحب إنجيل مرقس. (BAUDRY, 2009, p. 108)

04- **اليمامة:** روي في إنجيل مرقس أن المسيح عليه السلام خلال تعميده في نهر الأردن رأى روح القدس ممثلا في حمامة، جاء في الأصحاح الأول، الآية العاشرة ما يلي: " وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت، والروح مثل حمامة نازلا عليه " ظن في الرمزية المسيحية فإن اليمامة رمز للود والبراءة والبساطة، كما أصبحت رمزا للروح القدس، عند الآباء هي كذلك

مرتبطة بقصة نوح عليه السلام، وكيف ساعدت المؤمنين بأن جلبت غصن الزيتون، فعرف أن الماء انحسر وأمكنهم الرسو بالسفينة. (BAUDRY, 2009, p. 111) كما ترمز كذلك لروح المؤمن (BAUDRY, 2009, p. 112)

05- **الطاووس**: يجسد أحيانا في الرمزية الجنائزية، كما في **les catacombs** لأنه يرمز للقيامة. القديس أوغسطينوس جعل منه أحيانا رمزا للخلود، ربما يرجع ذلك لجمال ريشه الذي يذكر بالربيع وإعادة الحياة فيه. (BAUDRY, 2009, p. 112) كما قال أرسطو بأن لحم الطاووس لا يفسد لذلك عد رمزا للخلود (فورالي، جرد المصابيح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري، 2011-2012، صفحة 276)

06- **رمز الثور**: ينسب الثور للوقا صاحب الإنجيل، فحسب **tétramorphe** يكون الزيتون مصحوبا بالحمار، وفيها رمزية لولادة المسيح، وهذا على الأقل منذ القرن الرابع للميلاد. (BAUDRY, 2009, p. 108)

07- **السمة**: تكتب بالإغريقية **ΙΧΘΥΣ** وتلفظ إيثيس، وهي مختصر لعبارة "يسوع المسيح ابن الله المخلص" (فورالي، 2012، 275)، -حاشا أن يكون لله ولد وإنما نحن في مقام النقل لا التقرير- وإن فصلناها نكون كما يلي:

الحرف الأول الايوتا "Ι" وهو الحرف الأول لكلمة **Ἰησοῦς** 'إيسوس التي أصبحت فيما بعد يسوع.

الحرف الثاني الخي "Χ" وهو الحرف الأول لكلمة **Χριστός** خريستوس أي (المسيح).
الحرف الثالث الثيتا "Θ" وهو الحرف الأول لكلمة **Θεοῦ** المشتقة من كلمة **Θεός** في حالة الإضافة التي تعني الله.

الحرف الرابع اليوبسلون "Υ" وهو الحرف الأول لكلمة **Υἱός** يوس أي (ابن).
الحرف الخامس السجما "Σ" وهو الحرف الأول لكلمة **Σωτήρ** سوتير المشقة من كلمة **σωζω** اليونانية التي تعني (أخلص). (BAUDRY, 2009, p. 100)

فتكون الكلمة يسوع المسيح ابن الله المخلص، **Ἰησοῦς Χριστός Θεοῦ Υἱός Σωτήρ** وهذا حسب ما ورد عن القديس أوغسطينوس في كتابه مدينة الله (فورالي، زخرفة المصابيح المسيحية القديمة في نوميديا، 2006، صفحة 135)

تعتبر من الرموز الأكثر استعمالاً في الفن المسيحي، أحياناً تكون سمكة وأحياناً أخرى يكون دلفين (BAUDRY, 2009, p. 100)

نجد السمكة المعالم المسيحية لا سيما التوابيت، وكذا على النصوص الجنائزية وهي ترمز للمسيح عليه السلام (Didron, 1843, pp. 351-352)

أما باللاتينية فتكتب *Piscis* ، استعملها أوائل المسيحيين ولا سيما في فترة الاضطهاد الدينية كشفرة للتعريف فيما بينهم، وحسب القديس أوغسطينوس فهي رمز للمسيح الذي نزل حياً إلى هاوية الحياة الفانية، مثل السمكة في أعماق المياه، والتي سكنها دون خطايا، أما أسقف هيبون فعدها تجسيدا للمسيح الذي عانى على الصليب (Reau, 1957, p. 29)

أقدم شاهد أثري لاستعمال السمكة كرمز عند المسيحيين يرجع لفترة القرن الأول الميلادي بفلسطين (كاتيا، 2017-2018، صفحة 109)، ومن شواهد ذكر السمكة في الكتاب المقدس ما ورد في إنجيل متى 10:7 "وإن سألته سمكة، يُعطيه حياة؟"

08- **رمز الدلفين:** اعتبر الدلفين في حوض البحر الأبيض المتوسط كحيوان مقرب من الإنسان، يقترب من سفنه المبحرة، وفي بعض الأحيان وجد في الأساطير أنه أنقذ بعض البشر مثل أسطورة Arion أو Méliceste، رمز السمكة في الفن المسيحي يرمز للمسيح عيه السلام. (BAUDRY, 2009, p. 93)

4-د- الرموز المستوحاة من النباتات والأشجار:

01- **شجرة العنب:** إحدى العناصر الزخرفية المفضلة في الدين المسيحي (فورالي، 2012، 282) في الرمزية الإنجيلية، تعني الشعب اليهودي ومثاله ما ورد في سفر إشعياء الأصحاح الخامس الآية الأولى "لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة.»، كما أن الكرمة أتت وصفاً للسيد المسيح عليه السلام فقد ورد في إنجيل يوحنا الأصحاح الخامس عشر الآية الخامسة "أنا الكرمة وأنتم الأغصان.....". (BAUDRY, 2009, p. 95)

02- **شجرة الزيتون:** تعتبر شجرة مقدسة في كل الحضارات المتوسطية، فمثلاً في أولمب باليونان القديمة أهديت كتاج للتعبير عن النصر، وفي روما غصن الزيتون كان يهدى لإلهة السلام *PAX*، كذلك في التعابير الإنجيلية عد غصن الزيتون رمزاً للسلام، كذلك فالحمامة التي انطلقت من سفينة نوح عليه السلام حملت في منقارها لدى عودتها غصن زيتون، وقد ورد ذلك في العهد القديم، سفر التكوين الأصحاح ثامن الآية 8 إلى 12. ودائماً في الفن المسيحي ما يمثل غصن الزيتون كرمز للسلام المقدس. (BAUDRY, 2009, p. 96)

03- النخلة: في العالم الإغريقي والروماني، تظهر إلهة النصر **Victoria** اللاتينية، ونظيرتها **Niké** الإغريقية، مع نخلة، كذلك في الإنجيل النخلة ترمز للنصر. والفرج من الكرب (فورالي، زخرفة المصابيح المسيحية القديمة في نوميديا، 2006، صفحة 181) ورد في إنجيل يوحنا الأصحاح 12 الآية 13 "فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه، وكانوا يصرخون: أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل " (BAUDRY, 2009, p. 98). في فجر المسيحية رمزت النخلة والتاج لشهداء المسيحية، وكذا لحياة السماوات وكذا الجنة. (BAUDRY, 2009, p. 100)

4- رموز مستوحاة من أشياء مختلفة

01- الماء: حسب الاعتقاد القديم فإن الماء يمثل أحد عناصر الطبيعة الأربعة، وفي كل الحضارات لعب الماء دورا رمزيا كبيرا، وقد اكتسب خاصيتين كبيرتين أولاهما أنه مصدر للحياة والثانية أنه مصدر للطهر والنقاء، استعمل في الديانتين اليهودية والنصرانية للوضوء والغسل واستعمله النصارى للتعيميد، يوحنا المعمدان هو من أوجد التعيميد، وهذا الأخير طريق لدخول مملكة الرب، عند قدوم المسيح عليه السلام تحول مفهوم التعيميد من مجرد اغتسال إلى معنى أعمق يشمل إحياء الروح. (BAUDRY, 2009, p. 93)

كما يشير **Oscar Cullman** إلى عبارة الماء الحي **Eau vive** ، بأنها كلمة تحمل أربعة معان، فالمعنى الأول او يمكن أن نقول عنه العادي هو ماء المنبع في مقابل الماء الراكد، أما المعنى الثاني فهو طقسي ويقصد به ماء التعيميد، أما الثالث فهو الإنجيلي ويقصد به الاله كمصدر للحياة، و أخيرا المعنى الرمزي المسيحي فيقصد به الروح القدس (Danielou, 1961, p. 49)، وللإشارة فإن استعمال ما يعرف بالماء الحي نجده كذلك في الديانتين الإغريقية والرومانية، وفي اليهودية من أجل التطهير **Purification** (Danielou, 1961, p. 50)

02- الكنثاروس **Cantharus**: يظهر في التمثيلات الفسيفساء لمدينة كويكول على شكل قرح بعروتين، والكلمة لها معان عدة فتخبرنا الدكتور جاما كاتيا في أطروحة الدكتوراه خاصتها بأن الكلمة في اللغة اللاتينية معناها المنبع (كاتيا، 2017-2018، صفحة 138)، بينما وبالرجوع لقاموس **Gaffiot Felix** لا نجد هذا المعنى بل نجد معان أخرى منها القرح ذو العروتين، والحوض بشكل قرح وأخيرا المغتسل (Gaffiot Felix, 255). (Flobert, 2001, p. 108)

أما عن رمزيته فهو يرمز إلى تحقيق وعد الحياة الأبدية (حمزة، 2013، صفحة 70) .

مجموعة صور تمثل نماذج فقط عن الرمزية بمتحف كويكول



المصدر: المؤلف

خاتمة:

في ختام هذا المقال ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الديانة المسيحية أثرت بشكل كبير في مختلف مناحي الحياة اليومية والدينية وكذا الفنية، وهذا يتضح من خلال مجموعة الأشكال التي جسدها الفنان الكويكولي على الفسيفساء والفخار والحجارة المختلفة، ولم تكن هذه الأشكال والرموز من بنات أفكاره خالصة وإنما كانت بتأثير ديني واضح، فالدارس للكتاب المقدس بشقيه القديم عامة وبعبده الجديد خاصة يجد ذكرا لهذه الرموز، فالمسيحي الأول إن غراد التواصل أو التعريف بنفسه بطريقة مرمزة كان بذكر لفظة إيكثوس أو السمكة، وإن أراد أن يعبر عن عقيدته في التثليث كان يشير إلى ذلك بمثلث، وإن أراد التعبير عن رعاية المسيح عليه السلام لأتباعه كان يورد رمز الخروف أو الراعي الصالح، وهكذا دواليك، وعليه فالفن المسيحي ما هو إلا تعبير عن معتقد ديني.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المراجع باللغة العربية

- 01- السعيد خاشة. (2016). كويكول دراسة إجتماعية وأثرية. معهد الآثار، جامعة الجزائر.
- 02- جاما كاتيا. (2017-2018). الزخرفة المسيحية على المعالم الأثرية في مقاطعة نويميدا دراسة زخرفية وإكتونوغرافية. الجزائر: معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2.
- 03- حميدة فورالي. (2006). زخرفة المصابيح المسيحية القديمة في نويميدا. آثار، الصفحات 172-181.
- 04- حميدة فورالي. (2011-2012). جرد المصابيح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري. معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2.
- 05- محمد الشريف حمزة. (2013). الرموز المسيحية من خلال الفسيفساء الجنائزية لموريطانيا القيصرية. مجلة آثار، الصفحات 61-75.

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية

- 01- BAUDRY, G.-H. (2009). *les symboles du chrestianisme ancien Ier-VIIe sciecle.* cerf.
- 02- Danielou, J. (1961). *les symboles chrétiens primitifs.* seuil.
- 03- Didron. (1843). *Iconographie chrétienne.* Paris: Imprimerie Royale.
- 04- Février, P.-A. (1992). *Approches du Maghreb Romain: Pouvoirs, Differances et conflit.* paris: edisud.
- 05- Flobert, p. (2001). *Dictionnaire Gaffiot.* Paris: Hachette.
- 06- Leglay, M. (1954, décembre 13). Rapport sur l'activité archéologique en Algérie au cours des quatres dernières années (1950-1953). *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques*, p. 74.
- 07- Miloud, Z. (1998). *Djemila et sétif: l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du Nord.* paris.
- 08- Monceaux, P. (1920). Martyrs de Djemila. *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, pp. 290-297.
- 09- Monceaux, P. (1922). Découverte d'un groupe d'édifices chrétiens à Djemila. *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, pp. 380-407.
- 10- Montault, B. D. (1898). *Traité d'iconographie chretienne.* paris: societé de librairie ecclésiastique et religieuse.
- 11- Reau, L. (1957). *Iconographie de l'art chrétien.* Paris: presses universitaires de France.